ممن لم نجد لهم ذكرًا في كتاب أُسد الغابة لابن الاثير وتهذيب الاسماء للنووي كاسلف ابن يزيد

حادي عشر واخيرًا يبطل صحّة هذا العهد تاريخهُ الهجري فانَّ هذا التاريخ لم يستعمل الّا بعد وفاة محمد

لا نظنّ بعد هذه البراهين المتعددة انهُ يبقى لاحد ريب في كذب هذا العهد وان سُئلنا عن واضعه اجبنا انَّ صاحبهُ مجهول ولعلَّهُ احد رهبان الناصرة في القرن العاشر صنَّفهُ مقلّدًا فيهِ بعض اقوال محمّد والخلفاء الراشدين ترويجًا لبضاعتهِ ثم اقتدى بهِ غيرهُ وخصُّوا العهد بطوائفهم وتصرَّفوا فيهِ

ومن المحتمل انَّ رهبان طور سينا كانوا اوَّل من اخذ عهدًا من نبيّ المسلمين لما ادَّوهُ لقومهِ من الخدم في بعض غزواتهم . وممَّا يُخبر انَّ السلطان سليماً بعد فتح مصر وجزيرة العرب وقف على عهد بالكوفية زعم الرهبان انهُ من محمد فاستوهبهُ منهم ووضعهُ في خزانة السلاطين العظام والى يومنا لا يعرف من امرهِ شيء . وفي مكتبة الاقباط في مصر نسخة من هذا الاثر تقرب من العهود التي وصفناها لكنَّها اقصر منها . وفي آخرها يُقال أنها « كُتبت بيد علي بن ابي طالب في ٣ محرَّم السنة الثانية للهجرة الموافقة لاوَّل آب سنة ٦٢٢ » . وكفى بذلك دليلًا على اصطناعها (لهُ بقيَّة)

الكتابات العربية في جبل الطور

ملخَّص بتصرُّف عن مقالة للاب هنري لامنس اليسوعيّ

في اليوم السادس من شهر آب ترفع كنيسة المسيح شرقًا وغربًا نظرها الى الجبل العالي الذي تجلَّى على مشارفهِ الكلمة ابن الله فاراد ان يُعلن لبعض تلاميذهِ ما كان يحجبهُ عن ابصارهم من المجد الباهر والعزّ القاهر . على انَّ الانجيليين الذين ذكروا هذا الحادث الجليل لم يفيدونا اسم الجبل الذي جرت عليهِ تلك المظاهر القدسية . لكنَّ الغالب على اراء الكتبة الكنسيين منذ قرون النصرانية الاولى انَّ الجبل المنوّه انَّما هو جبل تابور المعروف ايضاً بجبل الطور

وهذا الجبل ينتصب في اواسط بلاد الجليل مفترزًا عنها على صورة قبّة عظيمة احتلّ العليّ في ظلالها او قلْ مذبحًا شريفًا أُقيم لتُرفع عليه التقادم والمحرقات لعزّته تعالى او بالحري عرشًا سنيًا تتلألأ فوقهُ مجالي اللاهوت بتجلي السيّد المسيح. وعلوّ هذا الجبل يبلغ ٥٠٠ متر فوق سهول مرج بني عامر فيكون ارتفاعهُ فوق سطح البحر ٦٠٠ م بتقريب قليل. ومن رقي الى اعلاهُ اكتشف من ثمّ جبال الجليل وجبل حرمون وبحيرة طبريّة وعدّة مدن عامرة كانت في تلك النواحي. وهذا الجبل كثير الخصب تتظلّل معاطفهُ انواع الاشجار المنبسطة الافنان كالشربين والسنديان والخروب والبطم وتأوي اليهِ طيور البرّ والوحوش الضارية يصطادها الصيادون. واما اعلى الجبل فينتهي ببسيط واسع طولهُ ١٢٠٠ متر كان يُرقى اليهِ بدرج منقور في الصخرة من جانب الطور. وقد بقي بعض آثار ذلك الدرج الذي كان يبلغ عدد مراقيه ٤٣٤٠ مرقاة

وقد ورد ذكر التابور في تاريخ بني اسرائيل غير مرّة فأدخلهُ يشوع في تخوم ارض الميعاد وجعلهُ فاصلًا بين سبطي زابلون وايساخر. وعندهُ ظفرت دبورة باعداء قومها وأشاد صاحب المزامير بفاخرهِ (مز ٨٨: ١٣) وشبّه النبيّ ارميا (٤٦: ١٨) قدوم نبوكدنصّر ورفعتهُ فوق الملوك بتقدُّم تابور على بقيّة الجبال

وكان الفينيقيون واليونان يعرفون جبل الطور وهم يدعونهُ اتابيريون وكان الوثنيّون يكرمون عليه المشتري ويدعونهُ المشتري التابيري. وأُقيمت في مشارفهِ مدينة حصينة في القرن الثالث قبل الميلاد استولى عليها بالدسيسة الملك هيرودس الكبير فاخربها. وقد نال ذلك الجبل فخرًا عظيمًا بتجلي السيّد المسيح فوقهُ كما يشهد على ذلك اوريجانس المعلم واوسابيوس القيصري والقديس ايرونيموس وورد ذكرهُ في الجيل الاثني عشر رسولًا احد اناجيل الزور الراقي الى اوائل القرن الثاني للمسيح. وقد اقامت القديسة هيلانة في القرن الرابع كنيسة على قمتهِ تذكارًا لهذا الواقع. وجُعل لتلك الكنيسة اسقف نُسب اليها في المجمع الخامس سنة ٥٥٣. رشُيدت بعد ذلك كنائس اخرى

ومما أخبرهُ يوسفيوس في العاديات اليهوديّة ان اليهود اذ سموا بزحفة الرومان على بلادهم على عهد ڤسبسيان احاطوا جبل الطور بسور عظيم وتحصّنوا وراءهُ لكنّ الرومان اخربوهُ بعد قليل

وبقي جبل الطور كزار ديني الى أيام الصليبيين فلما قدم الفرنج البلاد المقدسة وفتحوا سواحل الشام وبلاد فلسطين ردّوا لهذا المقام عزّهُ وشرفهُ فشيّدوا للرهبان البندكتيين ديرًا كبيرًا جعلوهُ كقلعة منيعة في وجه الاعداء لكنَّ المسلمين غزوهُ مرارًا وقتلوا رهبانهُ او طردوهم واستولوا على ابنيتهم فخربوها. ثم رأى ملوك الشام ما لجبل الطور من المنعة وحسن الموقع فعزموا على تشييد حصن حصين يسكنهُ المسلمون ويشنّون منهُ الغارات على البلاد الفرنجيّة المجاورة قال ياقوت في معجم البلدان (٣: ٥٦٦) : « ثم بنى هناك الملك المعظّم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب قلعة حصينة وأنفق عليها الاموال الجمّة واحكمها غاية الإحكام فلمّا كان في السنة ٦١٥ (١٢٢٠م) وخرج الفرنج من وراء البحر طالبين للبيت المقدس امر بخرابها حتى تركها كالامس الدابر »

وفي هذا القول نظر لأن الحصن الذي ذكرهُ ياقوت أُتمّ قبل ذلك بعدّة سنين اي السنة ٦٠٧ للهجرة (١٢١١) كما ذكر مؤرخو الصليبيين وكان الذي سعى في الامر الملك العادل الأيوبي ابو الملك المعظّم عيسى وقد جدَّ في العمل بنشاط عظيم حتى اتمَّ منهُ سنة ٦٠٩ قسمًا كبيرًا ثم أكمل العمل ابنهُ الملك المعظّم كما روى ياقوت ثم خاف لئلا يستولي عليهِ الفرنج فاخربهُ

ولنا على هذه الامور كلها شواهد ثابتة في الكتابات العربية التي وُجدت في جبل الطور وكنّا نمّنّ انفسنا الحظّ برسم بعضها وان سبقنا الى نشرها احد الباحثين العلّامة ماكس فان برشم (MuNDPV, 1903, 33-45) واوّل هذه الكتابات تشير الى انشاء القلعة هكذا:

امر بانشاء هذه القلعة المباركة مولانا السلطان الاعظم الملك العادل المجاهد المنصور سيف الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين ابو بكر ابن ايوب خليل امير المؤمنين عند عوده من الشرق واجماع العسكر المنصور وتزوله بظاهر الطور بعد انقضاء الهُدنة (١ وكان الابتداء بالعمل في يوم الاحد لخمس مضين من ذي الحجّة سنة سبع وستمائة وركب هذا في ولاية الامير حسام الدين لولؤ ابن عبد الله المالكي المعظّمي

---

١) يريد الهدنة التي كان اتفق عليها مع الفرنج سنة ٦٠٣ (١٢٩٢). ويشير بعوده من الشرق الى حروبهِ في العراق والجزيرة

ودام ملك الملك العادل الى السنة ٦١٥هـ (١٢١٨) وفيها كانت وفاتهُ الّا انّهُ كان في آخر حياتهِ قد اعتزل الاشغال فولّى مصر ابنهُ الكامل ووكل الى ابنهِ الآخر عيسى المعظّم تدبير بلاد الشام. وفي كتابات جبل الطور ما يدلُّ على سلطنة الملك المعظّم المذكور. منها كتابة تاريخها سنة ٦١٠ (١٢١٣) كان اوّل من نشرها الاستاذ اليوناني يوانيدوس وهذه صورتها بعد البسملة وآية قرآنيّة من سورة البقرة:

امر بانشاء هذه القلعة المباركة مولانا السلطان الملك المعظم عيسى ابن الملك العادل ابي بكر بن أيوب وكان بدوّ العمل في خامس المحرّم سنة عشر وستمائة (٢٧ أيار ١٢١٣) في ولاية العبد الفقير لؤلؤ المعظّمي

فيؤخذ من هذه الكتابة انّ الملك المعظّم هو الذي انشأ القلعة الّا انّ الملك العادل كان سبق فوضع اسوارها وشيّد قسمًا من ابنيتها كما رأيت في الكتابة السابقة. وكأنّ الملك المعظّم لم يرَ داعيًا الى تكرار الامر مع وجود تلك الكتابة تذكر عمل نفسهِ الخاصّ

وللملك المعظّم كتابة ثانية امر برسمها في السنة عينها وهي اليوم في ساحة دير الآباء الفرنسيسيين حيث اخذها رسمها (اطلب العدد ٢ في صورتنا) وهذه الكتابة كان الدكتور مورتس اخذ رسمها وارسلها الى الاثريّ فان برگم وهذا قرأها بعد البسملة

امر بعمارة هذه البركة المباركة مولانا السلطان المعظّم شرف الدنيا والدين في شهور سنة عشر وستمائة (١٢١٣-١٢١٤) في ولاية العبد الفقير الى رحمة الله حسام الدين لؤلؤ

فتكون اذن الكتابة دالّة على انشاء بركة وقد ظنّ العلّامة فان برگم انّ لفظة «البركة» ليست واضحة وانّهُ من المحتمل ان يكون المراد «البَدَنة» والبدنة كالسور والحصن الّا اننا تحقّقنا انّ في الاصل «بركة» ليس «بدنة»

وقد جاء ذكر البَدَنة في كتابة ثالثة للملك المعظّم بعد هذا التاريخ بسنتين وجدها الادباء يوانيدس والدكتوران شوماخر ومورتس ونشرها المير فان برگم هكذا بعد البسملة:

مما امر بعمارة هذه البَدَنة مولانا السلطان الملك المعظّم شرف الدنيا والدين عيسى ابن الملك العادل سيف الدنيا والدين ابي بكر بن أيوب لستٍّ خلون من ربيع الآخر سنة اثني عشر وستمائة (٣ حزيران ١٢١٥) في ولاية العبد الفقير الى رحمة ربهِ حسام الدين لؤلؤ المعظّمي

فهذه الكتابة كانت آخر ما خلّف الملك المعظّم من الآثار قبل ان يُخرب القلعة . وكأنّ صاحب معجم البلدان اشار الى هذه الكتابة الاخيرة في الاسطر التي نقلناها عنهُ . وقد وُجدت للملك المعظّم قطعة كتابة غير كاملة يذكر فيها انشاؤهُ لباشورة الّا انّ هذا الاثر قد سقط منهُ تاريخهُ وبعض الفاظهِ

وقد وُجدت في جبل الطور كتابات أخر ترتقي الى هذا الزمان لكنّها ليست للملوك الايوبيّين وانّما هي لعمّالهم فواحدة منها « للامير عزّ الدين ايبك الخادم الملكي المعظّمي » تاريخها سنة ٦٠٩ (١٢١٢—١٢١٣) كُتبت دلالة على عمارتهِ لاحد امكنة القلعة (اطلب العدد ٣ من صورتنا) . وهذا الاثر في ايدي الاباء الفرنسيسيين

ومنها كتابة أخرى لحسام الدين لؤلؤ الذي تكرّر ذكرهُ في الكتابات السابقة مضمونها انها رسم بعمارة منزل سنة احدى عشرة وستمائة (١٢١٤—١٢١٥) ويدعو هناك نفسهُ « بالامير الاجلّ الاسفهسلار الكبير حسام الدين لؤلؤ » (MuNDPV, p. 41)

وقد وقفنا نحن على كتابتين أُخريَيْن في جبل الطور لم ينشرهما احد قبلنا وكلتاهما في جنينة الاباء الفرنسيسيين على ضريحين للموتى فالواحدة قد سقط منها اسم الميت وتاريخ موتهِ . امّا الثانية فترى رسمها (في صورتنا العدد ١) . ويقال فيها انّ القبر لسنجر عتيق (اي مولى) الطونبا امير جاندار المعظّمي » وقد اتّسعنا في شرح هاتين الكتابتين في مجموع طرف اساتذة المكتب الشرقي (Mélanges de la Faculté Orientale, III, 483—490) فلا حاجة الى الاطالة

ومنذ ذاك العهد لم يبق على جبل الطور غير المعابد التي كان يزورها الزوّار واخربها السلطان بيبرس البندقداري ثم عاد النصارى وجدّدوا بناءها في ايام الامير فخر الدين فأخذ الآباء الفرنسيسيّون يهتمّون بامر كنيسة جبل الطور منذ السنة ١٦٣١ ثم جاء الروم وزاحموا اللاتين في سكنى الجبل وابتنوا في شماليهِ الابنية ولهم هناك كنيسة على اسم ايليا النبي

هذا ما رأينا ذكرهُ في هذه العجالة بمناسبة عيد التجلي ومن اراد الوقوف على آثار الطور واخبارهِ مفصّلةً عليهِ بمراجعة كتاب حضرة الاب الفرنسيسي برنباي (Le Mont Thabor, par le P Barnabé Meistermann O. F. M., Paris 1900)